ملك الهوامش

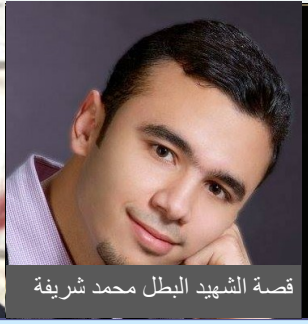
قصة الشهيد البطل محمد شريفة

زيتون جريدة أسبوعية تصدر عن شباب ادلب الحر وريفها، السنة الأولى، العدد ٣٣، الخميس ١٧-١٠-٢٠١٣
Facebook.com\zaitonmaqazine zaiton.maq@gmail.com

في زحمة الحرب
أضعت إسمي
سقط سهواً في حديث لم يكتمل
كنت أعلم حين تضع بين المواقف
تضيع كثير من الأشياء لديك
لكني لم أعلم
بأني أضعت
إسمي في لجة التيارات العاصفة
اختفى كما يتلاشى الظل في الليل
فتشت الجيوب
الحقائب..الدروج
أغصان الأشجار
كل الأرصفة التي عبرتها
قد نسير بلا أقدامنا وقت الأمراض
الوطنية
ولكن محال دون اسمائنا
حين يكثر الموت ويدنو الأجل لقرب
الوريد
يبقى الاسم موقفاً
ولو على شاهدة قبر

أما آن لغربان البؤس أن تغادرنا
تغادر أسطحنا
عرائش جدراننا
حقول يبادرنا
أما آن للدوري ولبلبل الشتاء المهاجر
أن يغرد وقت الفجر
لنغتسل بأمطار تشرين
ونسقط الدمع حصى تراكم في
محاجرنا

حسن قدور

رسالة مفتوحة الى رئيس الحكومة المؤقتة ٢
اليوم التالي لسقوط النظم: الاقليات ٤
تصدعات في عصبية نخبة بشار ٩

رسالة مفتوحة الى رئيس الحكومة المؤقتة للثورة السورية

حسين أمارة

ان ضرورة تشكيل حكومة مؤقتة، تدير شؤون المناطق المحررة من نظام العائلة الأسدية المحتلة، ملحة وجوهرية منذ أمد بعيد.

ان تأخر تشكيل الحكومة وفشل السيد غسان هيتو المكلف الأول بتشكيلها، ليس فقط مرده أن هيتو ليس معروفا في الداخل السوري، ولا لخطأ جولته في المناطق المحررة يريد كسب ولاءات، وليمني الناس بعطاءات للمستقبل وهو لا يملك منها شيء وبدل أن ينكب على تشكيل وزارته من الخبرات والكفاءات، بعيدا عن أي شكل من أشكال المحاصصة السياسية، انما يشي بشيء مهم وجوهري، دلالاته الأساسية هو الخلاف داخل الائتلاف، فالمعرضة بانقسامها الى خارجية وداخلية، والشللية التي يعج بها الائتلاف ووضع كل شلة بيضها في سلة احدى الدول الاقليمية والعالمية، مما أفقدهم وحدة القرار الوطني وضعف تأثيره، جعل من مسألة تشكيل الحكومة مسألة هامشية، مع أن الحكومة بظهورها ستجبر دول العالم المدعية صداقة الشعب السوري بالاعتراف بها واعتبارها المرجعية الأساسية والقناة الوحيدة لمرور الدعم بكل أنواعه والمطلوب لنصرة الثورة في سوريا.

الأن وقد كلف السيد أحمد طعمة بتشكيل الوزارة، وهو ابن الثورة ومن الداخل، هجر قسرا، فهل تجتمع كتل المعارضة والمشكلة للائتلاف على كلمة واحدة، وهو يعتبر برلمانا افتراضيا، وهل تنبذ خلافاتها وتسترد بيضها لتضعه في سلة الثورة وتدعم وتسهل تشكيل هذه الحكومة بعيدا عن المحاصصات السياسية، ومن تكنوقراط موالين للثورة وهمهم خدمتها ونجاحها، ان لم يعمل الائتلاف بهذه الروحية فان الحكومة ومن كان يرأسها سيكون مصيرها الفشل، وتكون عندها جنت على نفسها براقش، فالثورة مستمرة ولن يعدم الشعب السوري الوسيلة ولا الامكانية لظهور قيادات سياسية، تتجاوز هذا الجسد الهرم، ومع ذلك يملؤنا الأمل في أن يتجاوز الائتلاف ذاته ويرمم وضعه ويصحح مساره لكي يستطيع مراقبة ومحاسبة الوزارة، بعد التصديق عليها، ان كل ما نملكه الأن هو تقديم التصحيح للأستاذ أحمد طعمة ليس من قبيل التشكيك بقدرته، ولا من باب الأستذة، انما لقناعتنا أن تبادل الأفكار يفضي الى الأحسن، ان من أولى أولويات الحكومة المؤقتة برأينا هو توفير الأمن والأمان للشعب السوري في المناطق المحررة، والتي مازال يتعرض فيها الى أبشع أنواع القتل من خلال القذائف والصواريخ بعيدة المدى والطيران الجوي والمروحي، الذي يلقي عليه البراميل والحاويات المتفجرة، والتي تجعل من المبنى التي تسقط عليه ممهدا بحق فيرفع الأرض، ما يضع الشعب في هذا المناطق في حالة ذعر دائم وهجرة دائمة للتفتيش عن أماكن أكثر أمانا، وبذلك تتعطل الحياة العامة للناس، فلا مدارس ولا مشافي، وكيف للإنسان أن يرسل فلذة كبده للمدرسة تحت خوفه من ألا يعود سالما، ناهيك عن كيفية تدبر لقمة العيش تحت طائلة الخوف من الخروج للعمل.

ان ما يزيد من عدم طمأنينة الناس في المناطق المحررة، ليس فقط فتك النظام بآلته الحربية، انما بظهور ظاهرة التسليح والتشبيح وطلب الفدية من جماعات حملت السلاح بحجة الثورة وتستخدمه بلا وازع ضمير ضد الشعب.. ويكبر الألم.

كما أننا لابد أن ننوه الى أنه تشكل في جسد الثورة ندبات تسيء لها أكثر من أي نفع يجنى منها، فها هي اللوبيات الاعلامية والمنتشرة بشكل واسع وبدون تنظيم أو توحيد جهد، هدفها التقاط الصور وبعث الفيديوهات وانتظار المقابل من المال، ليكنزوه في جيوبهم، والجمعيات التي تدعي الخيرية والتي تستجر الأموال الكثيرة يوزع منها الفتات على عينك ياتاجر، والأكثر يخبأ في الجيوب الخاصة أو بعضها يخزن فيه أسلحة لقادم الأيام وكأنهم يعتبرون سقوط نظام الطاغية الأسد ليس هدفهم الرئيسي، انما يعملون لأجندات خاصة بهم فهم من الأن دولة ضمن دولة.

ان ظاهرة المجالس المحلية المعينة والمشكلة لمحاكم شرعية ولجان أمنية، الهدف منها حماية القائمين على هذه المجالس، وحماية عملهم المافيوي، ان في الأفران أو في الاغاثة العينية أو الطبية، هذه الظاهرة تجعل الشعب يقلق على مستقبله.

ان بقاء المجموعات المسلحة داخل المدن وتدخل المجموعات المتطرفة في شؤون الناس، يجعل من حياة الناس في المناطق المحررة تعيش خوفا وقلقا مضاعفا.

ان ما ذكرت من توصيف لبعض هموم شعبنا ومصدرها يعني أن المهمة الملقاة على كاهل الحكومة ليست سهلة، وتتطلب الجهد

والسرعة واختيار الخبرات مع معيار النظافة في ملئ كراسي الوزارة وتتطلب الاجراءات التالية:

١- الطلب العاجل والملح لفرض منطقة حظر جوي في سوريا يتيح لأبنائنا أن يعيشوا حالتهم شبه الطبيعية دون الخوف من طائرة لدى ذهابهم الى المدرسة على الأقل.

٢- اذا لم نتمكن من الحصول على رقم يتم الدعوة الى تطوع مؤقت وأجور معقولة لصالح الجيش الوطني الحر وبتشكيل وحدات عسكرية متكاملة مجهزة بجميع صنوف السلاح وخاصة منظومات دفاع جوي تمكننا من فرض حظر جوي بأنفسنا.

٣- خروج المقاتلين من المدن والبلدات والقرى، وعسكرتهم في اطارها الخارجي، وهذا يؤدي الى غرض أخر، بالإضافة الى الحماية والقتال، حماية الأهالي من دخول اللصوص والشبيحة الى المدن.

٤- تشكيل مجالس محلية منتخبة، وذلك بهدف ارساء قاعدة الانتخاب في مجتمعنا، ويهدف الى محاسبة المقصر أو السارق، لأن اللجان المعينة عندما يسألها أي شخص عن حال تقصير، فجوابها السريع "من أنت"، لكن عندما يكون المواطن مساهم في اختيارها، له حق المحاسبة، وعلى الأخر الاستماع والا سحبت الثقة منه.

٥- كما أن المجالس المحلية يناط اليها حصرا تشكيل المحاكم المدنية واللجان الأمنية (الشرطة) ولجان الاعلام والاغاثة، وحصرها بها مع ضرورة الاشراف على الجمعيات ومراقبة وارداتها وطرق صرفها وتوفير الطاقة والمياه، وخاصة أننا مقبلون على شتاء والناس بحاجة.

٦- ان مسألة توضيح أن التنافس القادم في سويا لن يكون الا على أساس سياسي فقط بعيدا عن أية أجندة طائفية أو مذهبية أو ما الى ذلك، وذلك لقطع الطريق على من يريدون لسوريا شرا، أمثال دولة العراق والشام والتي بدأت على المكشوف تظهر نفسها بأنها رصيد للنظام الأسدي، يجب وضع حد لها ومقاومتها كما نقاوم بشار الأسد، وخاصة بعد تجاوزاتها في الدانا وفي الرقة واعزاز وحزانو، واني أنبه بعض الجهات الإسلامية التي تعتبرها رصيدا لها، من أن خطر هؤلاء سيصيبهم بالضرر قبل غيرهم، وان الخلاص الأجدى هو الالتحام بالشعب والتحوط به، واستنهاضه لنقضي على العائلة الأسدية وبيادقها المتطرفين، بهذا نخطو باتجاه سوريا المستقبل، سوريا الديمقراطية وطن الجميع.

الى متى سوف يبقى مفتوحا.. الجرح السوري؟

ان ما حصل ويحصل من ابادة للشعب السوري، تجاوز كل الأنظمة والقوانين والشرائع السماوية، لم ولن يسطر التاريخ لا القديم ولا الحديث، أفظع وأبشع من المجازر التي أرتكبت بحق الشعب السوري، وتحت مسمع ومرأى العالم بأسره، لا بل ان هذا العهر السياسي والشلل الذي أصاب أرقى المنظمات العالمية، سواء أكانت انسانية أو سياسية، يسمح لنا بإعادة النظر في مصداقية هذه المنظمات، ونحن كشعب أعزل نحمل مسؤولية كل ما يجري لنا لهذه المنظمات.

بل ان بعض القوى الخارجية نعتبرها مشاركة في ذبح الشعب السوري، فهذه القوى مجتمعة تعمل على نزع أداة الاجرام من يد المجرم، بدون التفكير بمعاقبته، وهذا أكبر دليل على أن هذه القوى ليس لديها النية في معالجة الجرح السوري ورفع الظلم عن هذا الشعب، ونحن كثوار على الأرض قد نبهنا وحذرنا من تخاذل هذه القوى العظمى ولأكثر من مرة.

ويجب علينا أن لا نعول عليها في حل قضية شعبنا، اذا القضية قضيتنا والجرح جرحنا، فماذا فعلنا نحن من أجل أن يندمل هذا الجرح؟ من هنا اذا يأتي الحل والنصر، ولكن وعلى مدار الثلاث سنوات المنصرمة من عمر الثورة، لم نلاحظ أو نشاهد أو نلمس أي حل أو أمل من قيادات المعارضة يحقق لنا أهدافنا ومطالبنا، وهذه المعارضة أكانت سياسية أو عسكرية لم تستطع التوحد فيما بينها فالخلافات طغت على الثورة وأصبحت من الهموم اليومية للمواطن السوري، والجميع انشغل في تحقيق بعض المصالح الخاصة به وتناسوا الجرح المفتوح لهذا الشعب.

لا بد أن ينبثق الحل من بيننا، وان كانت هذه المرحلة صعبة والعقبات كثيرة، فالحل هو من وجهة نظري يكمن في اعادة هيكلة الثورة، فلا بد من المحاسبة ولا بد لهذا الشعب الصامد أن ينتفض من أجل حريته وكرامته ومعالجة جرحه.

فلا وجود لأنصاف الرجال بيننا ولا وجود لأمراء الحروب بيننا، فلتوقفوا المتاجرة بدماء الشهداء الطاهرة واتقوا الله بهذا الشعب الأبي.

ص.عدنان دعبول

اليوم التالي لسقوط النظام: الأقليّات

بقلم: حسن الوزّان

{و كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا}
{و لَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالا وَوَلَدًا۞
فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا}
سورة الكهف – الآيات ٣٤ و ٣٩ و ٤٠

لا أعرف حول العالم بقعةً صغيرةً كهذه الأرض تضمّ تلوّناً عرقياً و دينياً مذهلاً يفوق حجمها، فمنذ وُلدت فيها الحضارة و مرّت على التاريخ تكتبه استوعبت كلَّ الأقوام و المذاهب و الأفكار، و اليوم نجدها تضمّ عرباً و كورداً و أرمناً و تركماناً و آشوريين و شركساً و سريان، و يتصاهر فيها مختلف جماعات الإسلام من مذاهب السنّة المتنوعة و الشيعة الإماميّة (الإثني عشرية) و العلويّة و المرشديّة و الاسماعيلية، و الموحّدين الدروز و المندائيين (الصابئة) و الإيزيديين، و أكثر من عشرة كنائس مسيحية رئيسية من الروم الأرثوذكس و الكاثوليك و البروتستانت و السريان و الأرمن و الكلدانيين و المارونيين و شهود يهوه و غيرها، عدا عمّن فقدته من يهود! ناهيك عن طيفٍ واسعٍ جداً من المذاهب السياسية و الأفكار الإنسانية، تبدأ من أقصى درجات الإسلام السياسي السلفي إلى الإلحاد الكامل، و من القومية العربية و السورية و الكوردية إلى الليبرالية و الماركسية و الشيوعية و العلمانية و الأصولية.

لقد عاشت (و لم تتعايش أي بحكم الضرورة) كافة مكونات الفسيفساء السورية سويةً خلال مئات السنين دون حوادث اقتتال و اضطرابات تُذكر إلّا فيما ندر (مثل فتنة دمشق ١٨٦٠ و التي حمى فيها المسيحيين من الإبادة عقلاء "الأغلبية" السنية، و مذابح الأرمن التي استخدم العثمانيون لتنفيذها القوميين الكورد)، و ما يلفت النظر أنّ هذه الحوادث حصلت في عهد انحطاط الدولة الحاكمة أو سقوطها أو خضوعها لمشيئة الأجنبي، و في لحظات الوجود المصيري كان تكاتف السوريين على اختلاف ألوانهم أكبر من أن تختصره الكتب، مثلما واجهوا معاً الحملات الصليبية و الغزو المغولي و الاحتلال الـ- لفرنسي.

و اليوم يخرج علينا العالم شرقاً و غرباً ليعبّر عن "قلقه" على مصير الأقليات "فيما لو سقط النظام" و كأنّ مصير كل الناس الذين استُشهدوا و يُستشهدون كل يوم من "أكثريّة" أو "أقليّة" لا يؤخذ في الحسبان تماماً كمصير "الجميع" فيما لو بقي النظام على سياسته التدميرية ! هذا النفاق الذي يداري به الجميع ارتياحهم لتدمير الدولة و كسر دورها الإقليمي و إخضاع إرادتها بهدم اقتصادها و تبعية قرارها لمن يتكفّل بإعادة إعمارها، يحاولون به استغلال كذبةٍ تُسمّى "الخوف على الأقليات"!

لو حاولنا أن نسمح لمنطق الأرقام القبيلي أن يأخذنا للحظات، نجد أن سوريا إثنياً تتكوّن من "أغلبية" عربيّة في حدود ٧٥% من سكانها مقابل "أقليات" كبيرة ١٥% من الكورد و ٥% من التركمان إضافة إلى البقية. الأغلبية العربية تتوزع على كافة الأديان و المذاهب المعروفة، و بغياب إحصائيات جادة و الاكتفاء بالأرقام المتوافرة وفق مصادر متعددة، يمكن أن يكون ثلثا العرب من المسلمين السنّة، أي بحدود خمسين بالمئة من السوريين هم "عربٌ سنّة"، و في حال تجاهلنا لاستحالة النقاء العرقي في منطقتنا فلا يمكن أن ننكر توزّع هذه الفئة مناطقياً و فكريّاً، فلا يستوي من ينتمي إليها من سكان حلب و دمشق و حمص مع أولئك في الساحل و الجزيرة، يختلف أهل الريف عن أهل المدينة و أؤكد أن الاختلاف ليس فكرياً فحسب بل عقديّ أيضاً ! مما يجعل هذه "الأغلبية" عبارة عن مجموعات من الأقليات!

الأمر ذاته يمكن تطبيقه على التكوين الديني الطوائفي، فمقابل ٦٥-٧٠% من السنّة تتواجد "أقليات" كبيرة من العلويين ١٥% و المسيحيين ١٠% (انخفضت نسبتهم من ٢٠-٢٥% في ستينات القرن الماضي نتيجة الهجرة المستمرة التي يشجعهم الغرب عليها بمنحهم تسهيلات خاصة، إضافة إلى السياسة التمييزية ضدهم التي أقرّها النظام الحاكم في دستوري السبعينات و الحالي و قوانين الأحوال الشخصية) ، و هذه "الأغلبية السنيّة" لا تتوزع فحسب على مذاهب و طرق و مدارس شتّى و لا حتى على اختلاف مناطقي – ثقافي واسع بل أيضاً على انتماءات فكرية عديدة بعيدة عن الانتماء الديني، مما يجعلها أيضاً تجمعاً لمجموعات "أقليّات" !بإمكاننا أن ننظر إلى الأمر بهذا المنظور القبلي البدائي الذي يقول عنه زياد الرحباني "هيدا بلد!؟ لأ مش بلد .. هيدا قرطة ناس مجموعين .. لأ ..... مقسومين"، و بإمكاننا ببساطة أن نكون كما كنّا عبر التاريخ: سوريين، بأغلبية وطنية تؤمن بالحق و العدالة مقابل أقليّة مجرمة فاسدة تحاول الاستيلاء على وطننا و حياتنا و مستقبل أولادنا.

لكن هل من الممكن أن يكون السوريّون شعباً طائفياً؟ هناك خطوطٌ رفيعة تفصل بين الكلمات، فالتعصّب حالةٌ شائعة تأخذ درجاتٍ مختلفة تتراوح من التعاطف و التجمّع مع المشابهين (عرقياً أو مناطقياً أو مذهبياً أو فكريّاً) إلى الدعم المطلق لهؤلاء المماثلين و الانغلاق ضمن دائرتهم و لكن مع الحفاظ على علاقات طبيعية و صحيّة – و إن كانت أقلّ وديّة- مع بقية فئات المجتمع، و الطائفية حالةٌ أشدّ يحدث فيها تحصّن بالقبيلة المُنتمى إليها و قطيعة شبه كاملة مع المجموعات الأخرى تقوم على الكثير من "الخرافات" التي تعمل على تبرير النفور، أما أخطرها فهي العنصريّة التي تصبح فيها القبيلة مقدّسة لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها، و تكون القبائل الأخرى مصدر خطر على وجودها يستدعي إلغاءها أو استعبادها.

ضمن هذا التفكير، نستطيع أن نقرأ تاريخاً حضارياً للسوريين سادته روح الانفتاح و معرفة الآخر المتنوّع مهما كان مختلفاً، مع درجات متمايزة من التعصّب حسب الثقافة و المنطقة و الحقبة التاريخية. استمر الحال على ذلك إلى ستينيات القرن الماضي حين بدأت و نتيجة ظروف عديدة يعرفها السوريون - قد نتعرّض لها بالمزيد من التفصيل في مقالٍ لاحق- تناقضات القبلية و الفئوية تطفو على سطح العلاقات الوطنية، و خلال خمسين عامٍ من حكم حزب البعث عمل النظام الحاكم على ترسيخ هذه التناقضات و تسويق نفسه بصفته الضامن الوحيد لمنع اصطدامها و عامل الاستقرار الأكيد ليستخدمه كورقة ابتزاز لدى أوّل اهتزاز، ليتنامى حجم الطائفية المستعرّة تحت الرماد و تظهر في الأحداث الحالية بعض المواقف العنصرية.

لقد خرجت علينا مستشارة الرئيس السوري بثينة شعبان في أول تصريح بعد أسبوعٍ من انطلاق الثورة بعبارة هستيريّة لا محلّ لها من الإعراب ضمن تلك اللحظة: هذه فتنة طائفيّة ! رغم أنّ مصوّر مسيرة سوق الحميديّة التي انطلقت معها الثورة كان يؤكد باطمئنان و بلهجته الساحليّة المحبّبة أنّ جميع السوريين بجميع طوائفهم سيقفون معاً لمواجهة النظام! خلال قرابة السنتين، حاول النظام - و نجح في كثيرٍ من الأحيان- استثمار التناقضات الداخلية في المجتمع السوري (التي هي ذاتها نقاط قوة حضاريّة عندما تُحسن القيادة صياغتها) لضرب الثورة و تقديم نفسه للعالم كضمان حماية للأقليات و كأنّها لم تعش من قبل أن يستولي على الحكم مئات السنين مع بقية أفراد الوطن، لذلك كان حقده على مدينة السلميّة بتجانسها الطوائفي الفريد فأعمل فيها الاعتقال بوحشيّة فوق العادة في البدايات عندما خرجت في المظاهرات، و قام مؤخراً – أو على الأقل قام بتسهيل – ضربها بتفجيراتٍ مؤلمة عقاباً على سحبها هذه الحجة منه على الملأ. ذات الأمر تكرّر مع فئات أخرى، فقد حاول شراء ولاء الكورد في بداية الأحداث بتسوية أوضاعهم و رفع الظلم عنهم فلمّا أصرّوا على سوريّتهم و الاستمرار في الثورة مع إخوانهم نالوا نصيبهم من القتل و التهجير، قبل أن يتم تسليم أمورهم وفق صفقةٍ وضيعة إلى حزبٍ انفصالي يقوم بقمعهم و قتال الثوار بالنيابة عنه و إقلاق راحة تركيا مقابل المزيد من السلطة المحليّة. أيضاً عندما رفض المسيحيّون تسليحهم "شعبياً" مدّعياً قلقه عليهم من الثوّار لاحقتهم التفجيرات في مناطقهم و تناسي قراهم من أيّة حماية كي يتعظ البقيّة و يبقوا على موقفهم "المساند" له خوفاً من القادم.

في كل الأحوال، نجح النظام و أعداؤه الخارجيين على حدٍّ سواء في إحداث حالة "اصطفاف طائفي" ضمن سوريا، بحيث بدا أنّ الأقليّات متمسّكة بالنظام في حين ينتمي الثوّار إلى طائفةٍ وحيدة من الأغلبية و يتمّ نعتهم بمتطرفيها في حين يكون الموالون منها هم المعتدلون الوطنيون! فتمّ في البدايات التركيز على استحضار شيخٍ مغمور على قناةٍ طائفية و إشاعات القتل على الهوية و حوادث منفصلة و اختراع شعارات و هتافات تمييزية، و من المفجع أنّ كثيراً ممّا اخترعه النظام بات بعد أكثر من عامٍ و نصف على انطلاق الثورة واقعاً في كثير من الأحيان و إن لم يصل إلى درجة المنهجة التي اتّبعها النظام في استثارة أفراد طائفة "الأغلبية" خصوصاً مع التسريب المتعمّد – و لأوّل مرّة في تاريخ الجيش حيث يُمنع التصوير تحت طائلة العقوبة – لفيديوهات تعذيب و إهانة و قتل وحشي من قبل أفراد في الأمن و الشبيحة و الجيش بلكنةٍ مميزة لمنطقتهم (و افتراضياً لطائفتهم).

و لماذا يُقدم النظام على أمرٍ كهذا؟ الأمر يتعلّق بجوهر مفهوم الإنسان لنفسه، أي هويّته المركّبة من تفاعل العديد من المركّبات القوميّة و الدينية و الثقافية و البيئية و التاريخية و الاقتصادية و العائلية العشائرية، فهي تتمثّل جميعاً و معاً في كل فرد و تُترجم في اللاوعي الجمعي كهوية أمة. في حالات الخطر الذي يتهدّد إحدى هذه المركّبات، تبرز إلى السطح طاغيةً على ما سواها و بحيث تبدو و كأنها تختصر هوية المرء – و الأمة تالياً – ليصبح كامل وجوده مرتبطاً بها و الدفاع عنها مسألة حياةٍ أو موت. لقد قرأ النظام قيام الثورة بشكلها الصحيح: ثورة الناس بمختلف فئاتهم للدفاع عن وجودهم النفسي في جزئيتي الكرامة و الحريّة و عن وجودهم المادي في جزئية محاربة الفقر و الفساد اللذين رسّخهما النظام. و وفق قاعدة فرّق تسد، كان لا بدّ من تفكيك هذه الفئات بتغيير مركّب الهويّة الذي تدافع عنه، و ليس هناك ما هو أسهل من استثارة المشاعر الدينية و الشعور بالاضطهاد باستحضار أشباح الماضي إلى اللحظة الحاضرة.

لا يمكن أن ننكر نجاح النظام إلى حدٍّ بعيد في خطته الشنيعة، خاصةً أنّه قد وضع أسسها منذ عقودٍ طويلة، و ليس بالإمكان إصلاح جريمته في تعميق الشرخ النفسي بين أفراد شعبنا و مكوناته بين يومٍ و ليلة، و إن كان تدمير الحجر سيستغرق شهوراً ليُعمّر فإنّ تدمير البشر سيستغرق سنواتٍ طويلة من استعادة الثقة و الإخوّة الحقيقية المبنيّة على قيمة المرء بعمله لا بـ "قبيلته". الطريق الطويل لنجاحنا في ذلك يستلزم أن نعكس الخطوات التي اتّبعها النظام ليوصلنا إلى هذه الحالة من التشرذم:

أ- محاربة الجهل و العمل على ترسيخ سياسة تعليمية تقوم على إشغال العقل بالوقائع و الحقائق و إتاحة مصادر المعلومات و تنقيتها ليتمكن الجميع من فهم العالم و رؤية أنفسهم و الآخرين بشكلٍ أوضح و أصدق.

ب- محاربة الفقر و البطالة، فالبيئة الفقيرة تعدّ أخطر حاضنة للتطرف بمختلف أشكاله و تهيئة العقل الجماعي لها لتقبّل أيّة دعوة تعلي من شأنها دون مبالاة بالقيم و الحق و صالح المجتمع و الوطن.

ت- جعل العدل أساس الحكم، و الكفاءة أهمّ مؤهلات المنصب. فقط في دولة القانون حيث يتساوى الجميع و يخضعون دون تمييز لذات الأحكام، يمكن أن تنشأ بين مختلف الفئات علاقاتٌ نديّة و متوازنة لا تعتدّ بالكثرة أو بالسلطة معياراً للتعامل فيما بينها.

ث- إعادة تشكيل مفهوم المواطنة و إحلاله مكان مفهوم القبيلة، و دون أن يعني ذلك بحال إلغاء مركّب الهوية الطائفي أو القومي بل إعادة تموضعه، بحيث يلتغي الخمول الحضاري الناجم عن الاطمئنان إلى كثرة عديد القبيلة و ما يقابله من خوفٍ زوري (paranoiac) ناجم عن عقدة اضطهاد لقلّة، و لا تكون هناك ضمانة محاصصة (quota) لكل فئة بل فقط الكفاءة و العمل هي سبيل تقدّم و تطور أي شخص أو مجموعة و ضمن الصالح العام و إرادته، و عندها لن يجد السوريّون غضاضة في أن يكون النظام بأسره مكوّناً على سبيل المثال من الكورد الصابئة ما داموا يحكمون الناس بالعدل و وفق الدستور الذي اتّفق عليه الجميع دون غبنٍ لأحد من كثرةٍ أو قلّة.

لن تكون سوريا هي سوريا إن فقدت أيّاً من أبنائها و جماعاتها، لقد ملأ القيح جروحنا و لا بدّ من فتحها لمعالجتها، و سيكون العلاج طويلاً و مؤلماً لكنه يستحقّ كل المعاناة لنسلّم أولادنا سوريا يفخرون بالانتماء إليها كما نشعر في أعماقنا، و عندما نشعر بالتعب و اليأس فلننظر بعض النجوم في سمائها: فارس الخوري، سلطان باشا الأطرش، ابراهيم هنانو، الشيخ صالح العلي، محمد الماغوط، سميح شقير، حنّا مينا، بدوي الجبل، يوسف العظمة، ممدوح عدوان، أبو خليل القباني، أسمهان، محمد كرد علي، نزار قباني، مصطفى العقاد، سعد الله ونّوس، جودت سعيد، لينا شماميان ... أتأملهم جميعاً و يملؤني الفخر و الاعتزاز، أنّي مثلهم .. سوري.

ارهاصات الثورة الثورية

عندما بدأت الثورة السورية تفرض نفسها بقوة على الأرض من خلال ما يبذله شعبنا من تضحيات جسام ومن خلال اصراره وإرادته لنيل حقوقه المهدورة، استطاع هذا الشعب أن ينتزع احترام الجميع، ورويدا رويدا بدأ النظام يفقد شرعيته بسبب اعتماده على الحل الأمني وسياسة المراوغة والكذب في تطبيق الاصلاحات المزعومة، وكان توصيف النظام لهذه الثورة لا يتعدى عن حركة احتجاج أو أعمال شغب، إلى أن بدأ بالتنازلات ليسمح وللمرة الأولى باستخدام مصطلح المعارضة، الذي كان من المحرمات في قاموسه كحالة معظم الأنظمة الاستبدادية، ولم يتوانى عن وصف هذه المعارضة بالعمالة والتآمر على الرغم من طابعها السلمي الخالص، ومع استمرار النزق الثوري واتساعه و امعان النظام في قمعه لهذه الثورة، بدأت تظهر إلى العلن مظاهر حمل السلاح لحماية المظاهرات السلمية، وعندما عمد النظام الى الزج بالجيش والقوات المسلحة في مواجهة الشعب، الأمر الذي أفضى الى سيل جارف من الدماء، وكنتيجة طبيعية لذلك بدأت تظهر الانشقاقات في صفوف الجيش وتتشكل كتائب ثم ألوية مسلحة لتتصدى لممارسات النظام الوحشية، وأمام هذا المشهد بدأ النظام يعزف على وتر الارهاب، تلك الوصفة المجربة التي يطرب لها الغرب وما يسمى المجتمع الدولي، وتوالى فشل النظام في وئد الثورة وفي اقناع العالم حول نظرته لمجريات الأمور، وعندها بدأت تخرج الدعوات التي تطالب النظام بالرحيل والتنحي عن الحكم من أوساط دولية عدة، لم يكترث النظام لهذه الدعوات ولا للكثير من المبادرات والمناشدات لوقف العنف والحل الأمني الذي أثبت فشله متشبثا بموقفه اعتمادا على دعم ومساندة بعض القوى والدول التي تسير على شاكلته، وهذا الدعم المنقطع النظير مكنه من الاستمرار في حين ترك الشعب السوري وحيدا ليواجه مصيرا مجهولا ووعودا كاذبة كان لها أثرا سلبيا، وأمام هذه الحالة المأساوية التي لم يتسنى لهذا الشعب حتى أن يحصي عدد شهدائه وجرحاه، وأمام ندرة الخيارات المتاحة وحالة اليأس التي بدأت تصيبه، حاول أن يعتمد على نفسه وقدراته الذاتية ومستعينا ببعض الأفراد والمجموعات التي هبت لنجدته، والتي لم تسنح له الظروف أحيانا للتأكد من مدى صدقيتها واخلاصها لأهدافه التي قام من أجلها في ثورته، ورغم ضعف الامكانيات والامدادات والموارد استطاعت المجموعات المسلحة والألوية المقاتلة وتحت اسم ما بات يسمى الجيش الحر، أن تثبت نفسها كطرف أصيل في معادلة مستحيلة، ولكن في ظل اطالة أمد الثورة بدأت تتجلى بعض التجاوزات والممارسات الشاذة فاقمت الأوضاع سوءا، استفاد النظام منها ليعزز من رصيده على حساب رصيدنا، وحيث أنني وشريحة واسعة معي من الحراك الثوري الفاعل على الأرض، لم نهيأ أنفسنا للخوض طويلا في تفاصيلها، لا بل الأفضل الانشغال عن جوهر صراعنا الحقيقي، وتبديد طاقاتنا في مهاترات ومعارك جانبية وتجاذبات ايدلوجية ليس هذا أوانها، والتي تشكل في بعض الأحيان انحرافاً عن مسار الثورة الحقيقية، والتي أتمنى شخصياً أن نضعها في حجمها الصحيح، بحيث لا تثني من عزيمتنا في المضي قدماً بهذه الثورة التي لا غنى لنا عنها، لاسيما أن الأعداء كثر ممن له مصلحة في اجهاض هذه الثورة التي قد تكون فرصتنا الأخيرة في الخلاص .

محمد سعيد قصاص

"لعبة الموت"
استهدافٌ للأطفال والنساء الحوامل

ترجمة: باسل العبسي

د. نوت: "قناصة النظام السوري يستهدفون النساء الحوامل والأطفال وكأنهم في لعبة للموت"

طفلة تتم معالجتها في مشفى ميداني متنقل بعد أن أصيبت بقصف عشوائي لجيش النظام على المنازل في آذار ٢٠١٣

من بين حكايات الحرب الأهلية المروعة في سوريا، يأتينا أكثر التقارير واقعية عن قناصة النظام الذين يشعرون بالملل ويتسلّون بلعب "لعبة الموت"، ولاسيما أن أهدافهم باتت تشمل الأطفال والنساء الحوامل.

صور الدكتور "ديفيد نوت" هذا التقرير مؤخرًا لقناة "ITV"، ويذكر أن د.نوت جراح بريطاني يتابع مهمته متطوعًا في البلد الذي مزقته الحرب. والطبيب الذي عمل من قبل لمدة عقدين في مناطق الحروب والأزمات، يقول في تقريره أنه رأى حالات غير اعتيادية الحدوث من بين الضحايا التي ارتادت مشفاه.

يقول د. نوت لقناة "ITV": "خلال يوم واحد كان لدينا نساء حوامل جيء بهن إلى المشفى مصابات بعيارات نارية في الرحم، ليس واحدة أو اثنتين فقط، لكن سبع نساء أو ثمان، الأمر الذي يعني لي أنهم (القناصة) يستهدفون النساء الحوامل لا محالة".

وقال د. نوت الذي يعمل ١٨ ساعة في اليوم مع ضحايا العيارات النارية والقنابل، إنه في بعض الأيام لاحظ وجود ضحايا مصابين بجروح في الجهة اليمنى من صدرهم فقط، وفي اليوم التالي كانت إصابات الضحايا في الجهة اليسرى فقط، وفي اليوم الذي يليه لم يرَ إلا جرحى مصابين بالفخذ فحسب.

ووفقا للدكتور نوت فإن الجرحى من الأطفال كانوا يصلون إلى المستشفى مجموعات؛ في يوم واحد بأعداد قليلة، وفي اليوم الذي يليه يتضاعف عددهم إلى عشرات.

"لذا يبدو لي أن القناصة في سوريا يلعبون لعبة موت"... بحسب د. نوت لـ "ITV".

لقد استشهد أكثر من ١٠٠٠٠٠ مئة ألف شخص في عامين ونصف منذ تصاعد النزاع إلى حرب أهلية في سوريا، ووفقا للأمم المتحدة فإن آلافًا من هؤلاء الضحايا هم من الأطفال.

يقضي د. نوت - الذي يعمل في المملكة المتحدة - شهرًا على الأقل من كل عام في مناطق الحرب لمساعدة من هم أكثر تضررًا، وفقاً لقناة ITV. كما أن أحد زملائه ممن تدربوا لديه، ويدعى "عيسى عبد الرحمن" قد استشهد في أيار الماضي عندما تم تفجير عيادته من قبل جيش النظام – بحسب ما ورد في تقرير لقناة ITV.

اختتم د. نوت بقوله: "إنه أمر خطير للغاية... فالقناصة غالبًا ما يصيبون الضحايا إصابات بليغة، لكن ليس لدينا إلا عدد قليل من الجراحين...".

المصدر: *CBS Interactive Inc.*

قصة الشهيد البطل الإعلامي
محمد شريفة

بقلم: زينة الشامي

باردتي بيدي وبجعبتي كفني ..يا أمتي انتظري فجري ولاتهني

تلك كانت عبارته التي طالما رددها ..محمد الشاب الطيب القلب صاحب الابتسامة الرائعة، التي طالما أسر بها من حوله.
ولد محمد بتاريخ ١٩٨٨\١٢\٢٤ في احدى قرى القلمون الآبي.
رُبي محمد في أحضان حي القابون الدمشقي، لم يبلغ الشباب حتى توفيت والدته، فكان الشاب الناضج بعقله، والحنون بفؤاده.
درس محمد في كلية الاقتصاد بجامعة دمشق.
وفي بداية الثورة كان شعلتها الأولى هو ومجموعة من الشبان من زملائه وجيرانه وأصدقائه، شارك بأهم المظاهرات وكان من أوائل المساهمين في تأسيس مجموعات للحراك السلمي والميداني بدمشق، خرج ناطقاً عن حي القابون باسم (عمر القابوني) فكان أول من أوصل حقيقة مايحدث في الحي للعالم والإعلام .
أسس مع أصدقائه (تجمع أحرار القابون) الذي استشهد اليوم أهم مؤسسيه واعتقل الآخر منهم.
كان الشهيد محمد أول من استخدم تقنية البث المباشر للمظاهرات في مدينة دمشق وأحياء (القابون، المزة ، ركن الدين ،الميدان)
هذه الأحياء التي ماتزال تردد حجارتها صدى صوته ولمساته التي كانت تزين كل عمل ثوري في مدينة دمشق .

محمد الناشط الإعلامي الإغاثي الميداني العسكري :

عندما أجبرت وحشية النظام شباب الثورة على حمل السلاح، كان محمد أول من حمل راية الدفاع عن الأرض والعرض، وعمل على الدعم الإغاثي لأهالي دمشق عموماً وحي القابون خصوصاً.
وخرج ناطق عن أهم ألوية دمشق باسم (زين الدين الشامي) وكان مدير المكتب الإعلامي لـ (اللواء الأول بدمشق) ، أعد محمد أهم التقارير العسكرية عن مناطق برزة والقابون والغوطة الشرقية.

محمد المصاب ...محمد الشهيد :

بتاريخ ٢٠١٣\٦\١٩ شهد حي القابون بداية أعنف حملة همجية من عصابات الأسد، في حوالي الساعة الرابعة من ذلك اليوم تعرض منزل محمد في القابون لصاروخ الراجمة التي كانت تستهدف الحي، أدت إلى إصابة محمد بعدة شظايا في الرأس، لتسيل دمائه على حاسوبه الذي كان يعمل به على نشر أخبار القصف.
بقي محمد بعدها بغيبوبة حوالي ٤ أشهر، استشهد بعدها بتاريخ ٢٠١٣\١٠\١٦ لتواري دمشق عريسها الذي لم يكمل ٣ أشهر من زفافه قبل إصابته ليزف بعدها شهيداً عريساً إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

لماذا وحدتنا السلمية وفرقتنا العسكرة؟

أسعد شلاش

استهوتني منذ طفولتي أجواء التظاهرات العامة، أتلقف أي مناسبة لأكتب على لافتات من كرتون بعض الشعارات وأسير في شوارع الحارة مساءً مع الأطفال، نهتف ضد إسرائيل بعد هزيمة حزيران أو نهتف بحياة عبد الناصر ابان وفاته، بعدها أعود الى البيت وقد بح صوتي وتعبت حنجرتي، ومع ذلك أنام سعيداً مسروراً.

عنما استولى البعث على السلطة، اخترعوا لنا طقساً أسموه مسيرة، شعاراتها هتاف بحياة بطل الأمة وقائدها، طوال الليل كنت أفكر كيف سأهرب غدا من المسيرة، اذ لم تكن تعنيني أي منها، حتى مسيرات عيد الجلاء كنت أقول لنفسي لماذا خرج الفرنسيون من وطننا، ألم يكن بقاءهم أفضل لنا.

على الشاشة الصغيرة أشاهد احتجاجات شعبية في دول أوربية، أحتبس دموعي لا أعرف حزناً أم فرحاً أتمنى أن أكون مع المحتجين حتى صار لدي حلماً أن أخرج في مظاهرة، أهتف فيها بما أريد.

في السويد حققت حلمي، ولكن منفرداً، فأكثر من مرة تظاهرت لوحدي أثناء عودتي من العمل أو الذهاب اليه، هتفت ضد البعث ودولته وسجونه ومعتقلاته.

بعد عودتي بدأ ربيع تونس ثم مصر بعدها ليبيا، رحت أنتظر على أحر ممن الجمر أن يصل هذا الربيع الى سوريا.

احتجاجات في الحريقة في درعا، ها هي قد وصلتنا.. مظاهرات في بانياس.. نعم وصلنا الربيع العربي.

مساء أحد أيام الجمعة تناهى الى مسمعي، أن بعض شباب بلدتي خرجوا بعد صلاة الجمعة من أحد المساجد في مظاهرة خجولة، تألمت لأنني لم أكن معهم، ورحت أعد الأيام لتأتي الجمعة القادمة،

انتهت صلاة الجمعة، سرت باتجاه المسجد المذكور أسأل كل من في الطريق هل سمعت أصوات متظاهرين، وأحث الخطى نحو المسجد المذكور، وهالني ما رأيت، رأيت ما يراه النائم في حلمه، رأيت تخوم الدنيا وأسوار أوروك، مجموعة من شباب بلدتي من لحم ودم، أعرف أغلبهم، كانوا يسيرون في الشارع الرئيسي، أحسست أنهم يمشون بين السماء والأرض، يهتفون للحرية، ارتعدت فرائصي، لم تعد قدماي تحملاني، كدت أن أسقط أرضاً، تماسكت، أسرعت الخطى، ركضت، ها أنا ذا بينهم أهتف بأعلى صوتي للحرية.. لسورية وبس.. أنا الأن أنكيدو، ضاجعت غانية المعبد سبعة أيام ولياليها، سرقتني من بين الوحوش، أدخلتني المدنية، لأصير وصرت بشرا، تخيلت أنني ذاهب مع هذه الجموع لنقتل همبابا وحش الغابة، ونستعيد عشبة الحياة، حياة حرة كريمة نقول فيها ما نريد دون خوف، نكتب ما نحس، نغني كما نشاء، نحب ونحب كما البشر، ونموت كما يموت البشر، عدت الى منزلي يغمرني فرح ولادتي طفلاً بشرياً غير مكترثاً ببحة صوتي، وتعب حنجرتي.

راحت تتوالى المظاهرات كل يوم جمعة، أسير في مقدمة المتظاهرين في وسطهم على الأطراف، أتبين الوجوه الجديدة، أنتشى اذا ما رأيت وجهاً جديداً اسلامياً أم علمانياً، غنياً أم فقيراً، مظاهراتنا كانت تضم جميع أطياف بلدتي، الجميع يهتف للحرية واسقاط الظلام، أنزوي جانباً لأداري دموع فرحي، عندما أسمع من مكبرات الصوت ترحيباً وتحيةً لمن أتى من القرى المجاورة ليشاركنا عرس الحرية، هذا بعد ان كنا نزدريهم ويزدرونا، ها هم يأتون الى بلدتنا مرفوعي الرأس، نرحب بهم، نحييهم لم تعد تلك القرى وناسها أرقاماً مرميةً على رصيف التاريخ والجغرافيا، لم يعد ذلك المهمش يشعر أنه ملقى في قاع البشرية، ها هو يهتف بأعلى صوته يلعن الطاغية وروح أبيه ويغني لسورية الحرية.

لا شيء ينقص من سعادتي حتى أولئك الذي يسيرون الى الخلف، متوجهين الى الجموع، يحيونهم بشبك أيديهم، قلت لصديقي ما معنى هذا، قال انهم يقلدون الطاغية الأب، قلت له والذين يصرون أن يقفوا في كل تظاهرة على مقدمة السيارة التي تحمل مكبرات الصوت، ليبدون أعلى من الجميع، قال صديقي انهم يحبون العلو.

اقتحم الجيش مدينتنا، كان يوماً عصيباً، دبابات الطاغوت وشبيحته ظلت تجوب الشوارع وتطلق النار لتقتل الهواء في كل الشوارع، من السابعة صباحاً وحتى منتصف الليل، صباحاً خرجت من منزل أحد أصدقائي الذي كنت ألوذ به، سألت عن الأخبار، قالوا ان الشبيحة اعتقلوا عدداً من الشباب، بعدها دأب الشبيحة على التسلل واختطاف بعض النشطاء، لا أعرف كيف وصلت البواريد الى أيدي شباب بلدتي ها هم يسهرون عند المداخل الرئيسية للبلدة، ليحولوا دون دخول الشبيحة واختطاف الناشطين، بدأوا يتبادلون اطلاق النار مع حواجز الجيش المحيطة بالمدينة، نفدت ذخيرتهم، سطوا على بعض مؤسسات الدولة وبعض السيارات العابرة على الأوتستراد بحجة أنها سيارات لدولة البعث أو لرجال أعمال مرتبطين بها، اشتروا أسلحة وذخائر، تراكمت الأموال عند بعضهم، انشق أحدهم وألف مجموعة بقيادته، انشق آخر، فصيل مسلح آخر، فصيل رابع، فصيل خامس، كثرت المجموعات المسلحة، سطو على بعض سيارات الدولة، بدأوا يشبحون بها في شوارع البلدة، أصبح لدينا شبيحتنا مقابل شبيحتهم، تكاثرت الفصائل المسلحة، سافر البعض الى تركيا الى الخليج للبحث عن ممولين، اختلفت الأهداف، تباينت الرؤى، لكل فصيل أجندته وأهدافه، تناحرت بعض الفصائل واقتتلت أحيانا، اختلط الحابل بالنابل والسؤال الغير متأكد من الاجابة عليه، أتكون السلمية وحدتنا لأننا لم نكن نملك الا مخاوفنا من القتل والاعتقال، والعسكرة فرقتنا لأننا غنمنا واسترزقنا، أرجو أن أكون قد جافيت الصواب.

تصدعات في عصبية نخبة سلالة

غولد سميث
سياسات التوجس الامني الطائفي

ان قدرة بشار الأسد على الحفاظ على تماسك العصبية العلوية تعرضت لضغط شديد في النصف الأول من عام ٢٠٠٨. فبعد احتجاجات العلويين في اللاذقية في تشرين الأول من عام ٢٠٠٧، ظهرت بوادر عصيان في قمة سلالة الأسد في عام ٢٠٠٨ عبر سلسلة من الاغتيالات والأحداث غير العادية ضمن سورية. إن العصبية العلوية العادية كانت معتمدة على قدرة النظام على حفظ أمن الطائفة؛ ووفقاً لعبد الحليم خدام فإن الصراع الداخلي ضمن النظام كان حول "الفوائد الشخصية واقتطاعات في الأموال."

وإن ضغط النجاة من التهديد الخارجي وضع عبئاً ثقيلاً على وحدة النظام. وبشكل مشابه للدور الذي لعبه رفعت الأسد في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين، أصبح زوج أخت بشار الأسد، آصف شوكت، شخصية مؤثرة بشكل متزايد في عقد الـ ٢٠٠٠. وما يعكس فكرة ابن خلدون في أن "السيطرة على الحاكم (من الأخريين) قد تحدث في السلالات"، يمكن العثور على تأثير آصف شوكت في العديد من قرارات بشار الأسد الرئيسية. وشملت هذه ردات فعل النظام لغزو الولايات المتحدة للعراق، والجريمة "المحتملة" في قتل الحريري، والاستراتيجيات المتبعة في تخليص النظام من عزلته. ووفقاً لعبد الحليم خدام، إن آصف شوكت شخصية طموحة للغاية. ويوحي أداؤه أنه وحشي ومستعد للقيام بخطوات جذرية لضمان تحقيق أهدافه بما في ذلك استغلال "مزاج بشار الأسد المتقلب". وادعى مسؤول لبناني فضل عدم الكشف عن اسمه، على سبيل المثال، أن آصف شوكت أراد استفزاز إسرائيل لإشعال حرب بينها وبين حزب الله وسورية في أيلول من عام ٢٠٠٧.

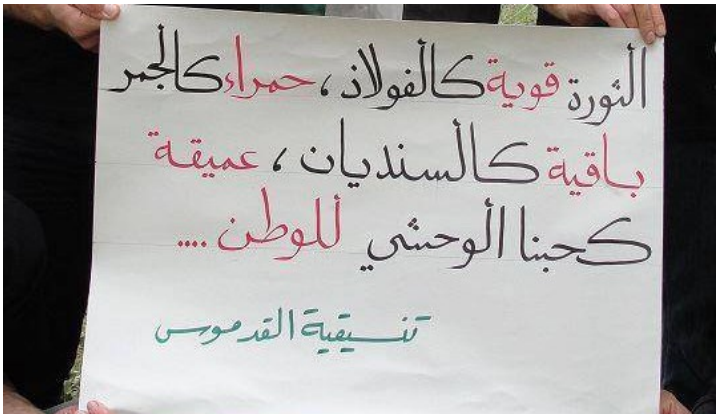

كونه بالأصل من "أسرة علوية فقيرة"، كان آصف شوكت لا يتمتع بقاعدة قوة حقيقية ضمن الطائفة العلوية؛ ومصدر تأثيره الأساسي هو قربه من عائلة الأسد، ومن ناحية أخرى كان بشار الأسد مديناً لزوج أخته بسبب الدعم الحاسم الذي وفره له في بداية حكمه؛ بل علاوة على ذلك، كان عليه تقريبه بسبب واجبه تجاه أخته بشرى؛ ومع ذلك، فإن تأثير آصف شوكت العميق في السياسات السورية اتخذ منعطفاً في عام ٢٠٠٨.

ففي كانون الثاني/يناير من عام ٢٠٠٨، استمرت سلسلة الاغتيالات وأعمال عدم الاستقرار في لبنان؛ وفي السادس عشر من الشهر نفسه استهدفت سيارة تابعة للسفارة الأمريكية بتفجير؛ وفي السادس والعشرين من الشهر نفسه تم اغتيال وسام عيد، وهو ضابط استخبارات لبناني أحرز كشفاً مهماً في التحقيق بجريمة اغتيال الحريري. عند هذه النقطة، انتقل العنف، على أية حال، إلى دمشق. ففي الثاني عشر من شباط من عام ٢٠٠٨، أودى انفجار سيارة مفخخة إلى قتل عماد مغنية، المسؤول العسكري الأول في حزب الله. إن ردة الفعل الأولى لحزب الله هي غضبه الشديد من إسرائيل؛ حيث قال حسن نصر الله متوعداً: "لقد قتلتموه خارج ساحة معركتنا الطبيعية؛ إذ إن مسرح المعركة معكم هو الأراضي اللبنانية، وإنكم تجاوزتم الحدود." وإن كانت إسرائيل هي المسؤولة حقاً، سيشكل الاغتيال خرقاً مهماً في الأمن السوري الداخلي المفترض أنه قوي جداً؛ إلا إن إسرائيل أنكرت المسؤولية عن العملية؛ وينبغي، على أية حال، دراسة نظريات بديلة.

إن التفاصيل الدقيقة وراء جريمة اغتيال مغنية غير مؤكدة، على أية حال، ولكنه من الممكن أن بعض العناصر غير الراضية من النخبة العلوية الذين أقصوا جانباً في صالح تحقيق المصالح الإيرانية وحزب الله فتشوا فيها عن طريقة لتعديل الوضع القائم في دمشق. وفي هذا السياق، من الممكن أن آصف شوكت رتب الجريمة. هناك بعض الدليل يوحي، كما هو حال محاولة الانقلاب التي قام بها رفعت الأسد في عام ١٩٨٣، بأن آصف شوكت قرر إزاحة بشار الأسد وأن عماد مغنية قد اكتشف خططه. وتدعي تقارير أخرى أن آصف شوكت قد تجاوز حدوده مسبقاً بلقائه منفرداً بمبعوثين أمريكيين في أنقرة لمناقشة إمكانية إبرام صفقة بموجبها تسحب سورية دعمها مؤقتاً لحزب الله مقابل "تجميد" تشكيل المحكمة الخاصة باغتيال الحريري. ويمكن لذلك أن يفسر نشوء مشكلة عويصة بين شوكت ومغنية.

على أية حال، كانت جريمة مقتل مغنية إحراجاً لبشار الأسد حيث ترافقت تلك الجريمة مع زيارة وزير الخارجية الإيراني لدمشق المقررة في اليوم التالي. وعلاوة على ذلك، كان هناك وفد أمريكي يضم زبجنيف بريزنجكي، مستشار مرشح الرئاسة الأمريكية للسياسة الخارجية، باراك أوباما، موجوداً في دمشق. ومع ذلك، بدا بشار الأسد مصمماً على إنقاذ فضائل حلفائه الخارجيين حزب الله وإيران على حساب مستشاره المقرب وعضو العائلة آصف شوكت.

تولى ابن خال بشار الأسد حافظ مخلوف التحقيق في مقتل مغنية، في الوقت الذي وضع فيه آصف شوكت جانباً؛ ووفقاً لبعض التقارير، وضع آصف شوكت تحت الإقامة الجبرية في نيسان/أبريل من عام ٢٠٠٨. وعندما أفرج عنه، تم تعينه في منصب شرفي رئيساً لمجلس الأمن الوطني المخترع لهذه الغاية. ومن الملاحظ أن حملة الاغتيالات في لبنان التي كانت مستمرة منذ عام ٢٠٠٥ خفت حدتها في الفترة التي زعم فيها أن آصف شوكت كان مغضوباً عليه. إلا إن ذلك لم يكن' على أية حال، نهاية مهنة شوكت أو نهاية الصراع الداخلي بين أعضاء النخبة من سلالة الأسد.

وفي مساء الأول من آب/أغسطس من عام ٢٠٠٨، اغتيل العميد العلوي محمد سليمان في المدينة الساحلية طرطوس على يد قناص. يعد سليمان المستشار الأمني الأول لبشار الأسد والمسؤول عن "المشاريع الخاصة" الحساسة. أخبر عبد الحليم خدام المؤلف الحالي أن محمد سليمان كان مسؤولا عن المشروع النووي المشتبه به الذي دمرته إسرائيل في عام ٢٠٠٧. ووفقاً لخدام، قتل سليمان بيد النظام السوري بسبب معرفته الخاصة بالمشروع، خاصة "أنه يعرف أكثر من اللازم". وفعلاً، إن الاغتيال أعاق تقدم تحقيق وكالة الطاقة النووية الدولية حيال البرنامج النووي المشتبه به في سورية. على أية حال، إن كان ذلك يشكل سبباً كافياً ليضمن قتل المساعد الأول لبشار الأسد فذلك أمر خاضع للجدل.

وينبغي الأخذ في عين الاعتبار احتمال أن محمد سليمان كان ضحية صراع على السلطة يحدث في أعلى هرم سلالة الأسد. وهناك أحداث مهمة أخرى عندما ينظر إليها في هذا السياق تدعم هذا الاستنتاج. ففي أيلول/سبتمبر من عام ٢٠٠٨، قبل أن هشام اللبداني، المساعد الأول لخالد مشعل زعيم حركة حماس المقيم في دمشق، أنزل من سيارته في حمص وأعدم. وبعد أسبوعيين وفي السابع والعشرين من أيلول، ٢٠٠٨، انفجرت سيارة ملغمة في دمشق قرب فرع فلسطين للمخابرات العسكرية في منطقة السيدة زينب. وانطوى التفجير على ٢٠٠ كيلوغرام من المتفجرات أودى بحياة ١٧ شخصاً بما في ذلك ضابط برتبة عالية العميد عبد الكريم عباس وابنه. والجدير ذكره أن رئيس فرع فلسطين للمخابرات العسكرية، سليمان ديوب، كان حليفاً مقرباً جداً لآصف شوكت.

كان تفجير دمشق في السابع والعشرين من أيلول/سبتمبر أخر حدث في سلسلة الاغتيالات داخل سورية التي بدأت بعماد مغنية في شباط من عام ٢٠٠٨. ومن هذه اللحظة بدا أن الاضطرابات وصراعات النظام قد تلاشت. وأصبح دور آصف شوكت أقل وضوحاً بعد تفجير دمشق مما يشير إلى أن آصف شوكت اعترف بسيطرة أخي زوجته بشار الأسد. وحقيقة أن آصف لم يلق مصيراً أسوأ من مجرد عزله من صلاحياته يمكن إرجاعه لتأثير زوجة آصف شوكت أخت الرئيس بشار الأسد.

وبشكل مشابه لأحداث الشغب الكردية في عام ٢٠٠٤، استغل بشار الأسد تفجير دمشق- الأول من نوعه في دمشق منذ ٢٧ عاماً- ليؤكد الحاجة لتجنب أي انتفاضة سياسية في سورية؛ حيث وضع الأسد اللوم على أعدائه في ١٤ آذار في لبنان لتدبير الهجوم عبر المجموعة السنية المتطرفة، فتح الإسلام. وصعد ذلك من تبرير تدخل النظام السوري للتدخل في شؤون لبنان الداخلية لحماية أمن سورية الداخلي. وأيضاً، بإلقاء اللوم بالهجوم على المسلمين المتطرفين من شمال لبنان، تم إيصال مذكر إلى العلويين عن الخطر الداهم من "الإرهابيين الإسلاميين" لأمنهم. وساعد ذلك أيضاً على تقوية العصبية الطائفية العلوية.

ان هذا النمط من التنافس على السلطة ونهبها من نخبة النظام يتفق مع مفاهيم ابن خلدون عن الفساد والسلالات المنحدرة التي تكون عصبيتها في انحدار.

ومن الأهمية التوكيد على الفصل بين النخبة الحاكمة من العلويين وبقية الطائفة العلوية؛ إذ إن انحدار عنصر الوحدة بين أفراد سلالة الأسد يقابله مقاومة العصبية العلوية بشكل عام؛ إذ تتفق الأولى مع إطار ابن خلدون حول اضمحلال العصبية في السلالات الحاكمة. وعلى النقيض، عنى التوجس الطائفي المستمر بين العلويين العاديين، وذلك عامل لم يأخذه ابن خلدون في عين الاعتبار، أنهم حافظوا على دعمهم لسلالة الأسد. ويمكن رسم موازاة مع ما حدث مع رفعت الأسد عندما قام ضد أخيه الأكبر في عام ١٩٨٤ في حين بقيت الغالبية العظمى من العلويين موالية لحافظ الأسد.

وبشكل عام، استمر الإحساس بالتوجس الطائفي بين العلويين ليشكل رصيداً سياسياً مهماً عند سلالة الأسد.

ملك الهوامش

أثرثر له بهدوء الموتى
وربما بحماسة الثائرين
أزف تفاصيل الحكاية أمامه
و أنا أظن أن كل الأشياء تلهث خلفنا...
ولا أعلم أن نبوءة فيروز ستصبح حقيقة ذات يوم...
الأرض الثقيلة..لا أسمع منها سوى صوت الأنين
لا أشم سوى عطر شعبي حزين
و أنا أتذوق أدمعاً تركتها تفاصيل المشهد الأخير
لحكاية كانت جميلة !
و أردد دائماً كان يا ما كان ... و كان ...

ابن الطريق منذ أول الثورة أو ما قبلها و حتى الشهادة
مواليد سراقب ١٩٨٣ ،تخرج من المعهد الصناعي بحمص ثم التحق بخدمة العلم الا أن أتمها سنة ٢٠٠٦ ،عمل بمجالات عديدة أكثرها اللاعمل ،ثم استقر بمحل الأربع و عشرين الذي تملكه العائلة و معرف لذا المحل دوره كتجمع لناشطي المدينة في البدايات .
من بين الصفات صفة حنون أكثرها ملازمة له
من بين التفاصيل .. أذكر و أشهد كيف توجه إلى حلب بتاريخ ٦ شباط أي قبل بداية الثورة بشهر تقريبا تلبية لدعوة بالتظاهر ضد النظام في ساحة سعد الله، لكنها باءت بالفشل
إذا أحب ..إذا ضحك.. إذا غضب ..إذا صرخ ...إذا فرح... إذا عزف... إذا حزن ... إذا .. إذا ..حتى الثمالة!
و أردد دائما كان يا ما كان.... و كان..
يقولون أن المخاوف تجلب التأكيدات لذلك لم يمت بلال و لا أبو ياسين و لم و لن تصاب سيارة أبو نهاد الحمراء بأّذى ،أيهم لن يعد كما كان يفكر كثيراً،و شوكي لن يوقظ أحداً،باسل المنهد سيتزوج مرة ثالثة،و محمد الفاطمة يزاعل الجميع،حتى سوزي تعافت من القراد ، و جوهر ما زال ضائعاً و هو يثابر أن يبقى كذلك !
على عتبات الشوارع المظلومة يبقى النشيد جميل صوت الماء يخرج من أي فتحة .. ترانيم الرصاص.. نباح الكلاب .. مواء البساس .. مرور أحد ما و أنت مضيت تاركا القصة بلا نهاية و السيرة بدون ختام
لتكون أشجع الراحلين .. و تبقى أمير المهمشين ،و تبقى تسعد غيرك و أنت شاقي و تضحك من حولك و أن باكي ..
و أردد دائماً كان يا ما كان ... و كان اسمو شادي

المهلهل اسماعيل

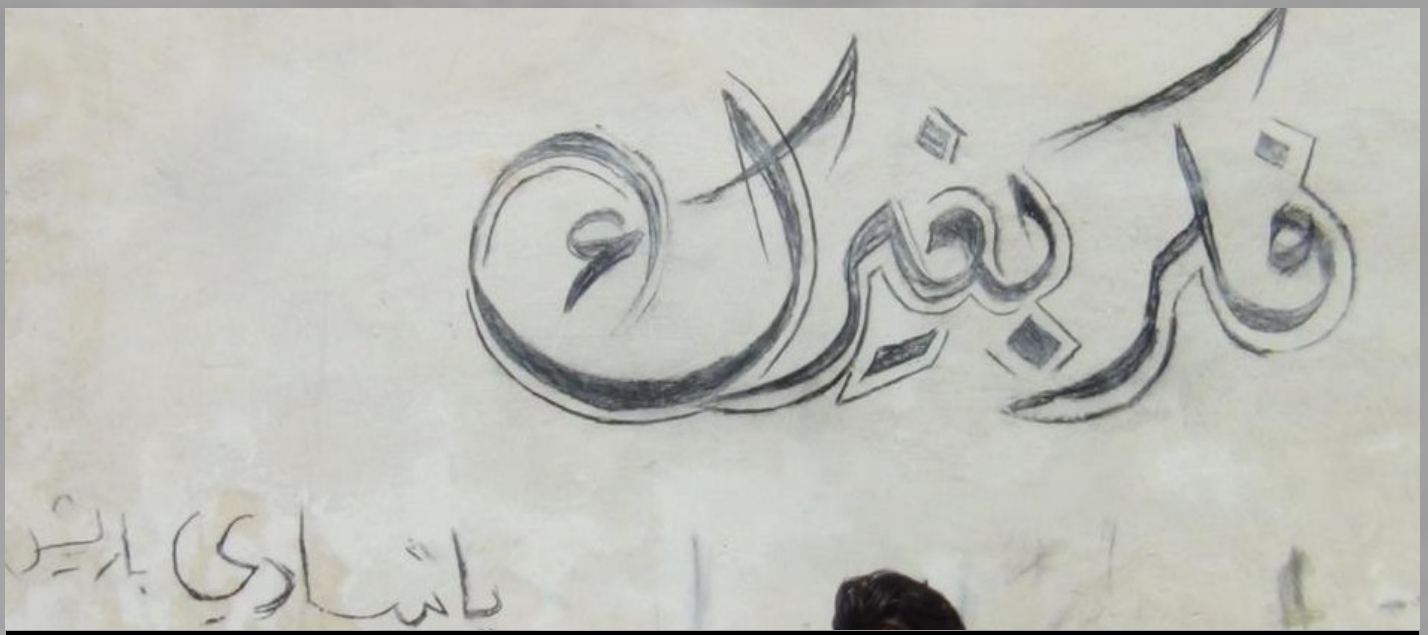

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر